Zawahiri

طارق البشري

المسلمون والأقباط
في إطار الجماعة الوطنية

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
Kayıt 5663
Tasnif No. : 962 BES-M

دار الوحدة

مفاجأة ، بل اثير من قبل انه رغب في الاستقالة بسبب مرضه . وأثير عند صدور القانون السؤال عمن سيخلفه . وتكاثر المتنافسون على المنصب ذي المظهر والجاه وذي الموارد الجمة من الأوقاف ، ويومها ظهرت أصوات من يطالب بفصل الأوقاف عن المشيخة حتى « لا تكون مجالا لطمع رجال الزهد والعلم »(٧٦).

كان الملك يعد لمشيخة الأزهر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ معهد اسيوط متخطيا به جمهرة من الشيوخ الأرسخ في العلم أو الوظيفة . وعرف عن الملك ثقته بالظواهري وثناؤه عليه ووعده له بالمشيخة منذ ١٩١٨(٧٧) . وكان ممن ترشحهم مناصبهم الكبيرة الشيخ عبد الرحمن قراعة المفتي والشيخ محمد حسنين مخلوف مدير المعاهد ووكيل الازهر السابق(٧٨) . وكانت وزارة الائتلاف التي صار اليها حديثا أمر المشاركة في الاختيار ، لا تقبل مرشحا للملك ، ولا تستحسن غيره من المحافظين الذين لا تطمئن الى اتباعهم سياسة الاصلاح ، أو الذين لا يساعدونها في تثبيت سياسة ابعاد الازهر عن الملك ، وبالنسبة لحزبي الائتلاف لم يجد الوفد في صفوفه عالما ازهريا كبيرا يصلح للمشيخة . ووجد الاحرار الدستوريون الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي عرف بصلته بمحمد محمود زعيم الحزب . والمراغي ان لم يكن يشغل احد مناصب الازهر والمعاهد ، فهو ازهري ورئيس المحكمة العليا الشرعية وذو علم ووقار ومن تلامذة محمد عبده الداعين للاصلاح .

صار المراغي مرشح وزارة الائتلاف ، والظواهري مرشح الملك ، وتجمد الموقف على هذا الوضع عشرة شهور ، والمشيخة شاغرة يقف على بابها شيخان يظاهر كلا منهما واحد من الاطراف المتصارعة . وأطال المدة الى هذا الحد وفاة سعد زغلول في آخر اغسطس ، فغطت على كل ما عداها لاعادة ترتيب الصفوف التي هزها غياب الزعيم الكبير . وقد اضطرب الائتلاف وقتها بين الاحرار وخلفاء سعد فاستقال ثروت وشكل النحاس زعيم الوفد الجديد الوزارة الائتلافية التي لم تعمر طويلا . وشغل كل ذلك الناس عن أمر الأزهر حينا بعد حين ، وتكاثرت اسماء المرشحين للمشيخة وقلت وتنوعت واختلفت وجوه النظر وبقيت امور الأزهر شبه معطلة . ولكن نجح النحاس في أن يفرض على الملك الشيخ المراغي فعين شيخا للأزهر في ٢٣ مايو ١٩٢٨ وعين الشيخ عبد المجيد سليم من القضاء الشرعي أيضا مفتيا للديار المصرية(٧٩) . يعلق الظواهري على ذلك « تدخلت السياسة في الدين وأصبحت حقوق الملك التقليدية موضع البحث والنظر »(٨٠)وتعلق صحيفة المقطم « أن الأزهر والعلم والعصر لم تعد بحاجة الى صفاء الاولياء . . نحن في حاجة لامثال رفاعة رافع والشنقيطي ونديم واللقاني ومحمد عبده . . وايضا سعد زغلول غفر الله له ، ولهم . . »(٨١) .

تخرج المراغي بالأزهر في ١٩٠٤ . وكانت حكومة السودان طلبت من محمد عبده اختيار قضاة لها ، فاختار المراغي فيمن اختار . وعين قاضيا بدنقلة ثم نقل الى الخرطوم في ١٩٠٦ ثم

S. 347, 352, 357 de

الكليات الثلاث والغاء مدرسة القضاء الشرعي وتجهيزية دار العلوم ، أما دار العلوم ذاتها فقد ظلت باقية بسبب معارضة وزارة المعارف لالغائها . وصدر كل ذلك بقانون في ١٥ نوفمبر ١٩٣٠ . ثم وضع نظاما جديد للتخصص في الشريعة واللغة والوعظ في ١٩ مايو ١٩٢٣(١٠٢) . وقصر التعيين على خريجي الازهر في وظائف القضاء الشرعي والموظفين به كما قصر عليهم مهنتي المحاماة الشرعية والمأذونين .

فكان مجمل ما صنع الظواهري أن أخذ بالهيكل الخارجي لاصلاح نظام التعليم الازهري ، مع تعديله من حيث السلطة باعادة تبعيته للملك ، ومن حيث المضمون بحصر الدراسة في المذاهب السنية الاربعة والاكتفاء بتهذيب بعض الكتب وطرق التدريس دون اشاعة التجديد الفكري في المناهج والعلوم ، فقصر الاطلاع على ما يؤهل الطلبة للوظائف دون ما ينمي ملكة الاجتهاد لديهم في البحث . وحاول الظواهري بهذا ان يرضي الملك ، وان يرضي إبعاديين بالازهر ، وأن يرضى الطلبة بالغاء بعض المدارس الموازية . واجهضت حركة الاصلاح بحركة صورية قصد به جذب رجال الازهر بالرزق دون الفكر .

واذا كان الظواهري قد عرف في شبابه المبكر بأنه من مؤيدي الاصلاح بسبب الكتاب الذي نشره في ١٩٠٤ ، داعيا فيه الى تعديل نظم التعليم بالأزهر « العلم والعلماء ونظام التعليم » . ورغم انه تفادى ضجة المحافظين التي أثيرت حوله وقتها بازجاء المديح للخديوي عباس المناوىء للاصلاح ولمحمد عبده ، فقد ظلت تلامس الشيخ سمعة انه من رجال الاصلاح ، يزكي ذلك منهجه الرشيد في الشرح والتدريس . ولكنه عندما تولى المشيخة كانت دعوة الاصلاح قد صارت فضفاضة بحيث تتسع للعديد من التفسيرات المتباينة ووجهات النظر المتعارضة ، وبحيث لم يعد حتما على من يدعو للاصلاح أن ينفذ بالضبط ما يدعو اليه . وكان أول ما صرح به الظواهري بعد توليه المشيخة ان الطفرة غير مستحبة(١٠٣) .

والحاصل ان عظم السخط على الشيخ الظواهري من رجال الحركة الديمقراطية ، ولم يكن ذلك في الاساس بسبب محافظته الفكرية . انما كان السبب الاساسي هو ارتباطه الوثيق بالملك وحكومة صدقي ، في ظرف سياسي عنفت فيه هجمة قوى الاستبداد على الجماهير ، واستلبت بعض المكاسب الديمقراطية التي حققتها ثورة ١٩١٩ ومورست فيه اساليب القمع والبطش . والأزهريون قسم شائع بين فئات الشعب يضنيهم ما يضنيه وتيارات الحركة الوطنية الديمقراطية قسم بين صفوفهم . لذلك اضطر الشيخ انحيازا منه للموقف السياسي للملك ان يستخدم أساليب السلطة في قمع الازهريين الذين يناصرون الحركة الديمقراطية ويقاومون استعمال النفوذ الاستبدادي للملك ولصدقي . ومن جهة اخرى عانت مصر في تلك الفترة من اعباء الازمة المالية العالمية المعروفة ، وحدت هذه الازمة من قدرة الشيخ والحكومة على التوسعة على خريجي الازهر في مجالات التوظف ورفع المرتبات ، فووجه الازهريون بنقص في وظائف المعاهد وضن من

Siguiulaud Z. Ezher
S. 34-36
1901
1081

٣٤ - الشيخ محمد بلال الاحمدى
ZEVAHIRI
ابراهيم الظواهرى
(FKH)

ولد بقرية (كفر الظواهرى) بمحافظة الشرقية سنة ١٨٨٧ م وكان أبوه من خيرة علماء الأزهر المتصوفين وكان ذا بركات وذاعت شهرته كما كان زميلا (للشيخ محمد عبده) .

ورغم صداقتهما فقد كان الشيخ محمد عبده يؤمن بالعقل والفكر ولا يميل لما يجرى عليه أهل التصوف وكان يوصى بدراسة (كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالى) الذى ينقى الدين .

وأعجب الابن بالشيخ محمد عبده ولكنه لم يتخل عن تقاليد الأسرة الصوفية واحترام الأولياء وقرأ كتاب (حكم ابن عطاء الله السكندرى) وتأثر بهذه الحكم فزكت نفسه .

وكانت لجنة الامتحان لنيل العالمية على رأسها (الشيخ محمد عبده) فأعجب بعلمه وهنأه وأوصاه بعدة وصايا ليظل على تفوقه .

ولما تم انشاء المعهد الأحمدى حشد له خيرة العلماء فاختير الشيخ الظواهرى فلفت الأنظار واتسعت حلقته وكان إلى جانب التدريس يباشر معهم الصوفية على نهج (الطريقة الشاذلية) .

ولما ألف كتاب (العلم والعلماء) ودعا فيه للاصلاح وجد معارضته من (الشيخ الشربينى) الذى أوصى بحرقه (كما سبق وأن اشرنا) .

ثم عين شيخا للمعهد الأحمدى سنة ١٩١٤ م وأنشأ عدة جمعيات للنهوض بالدعوة والخطابة واللغة والرحلات وأصدر مجلة (مجلة معهد طنطا) وألف لجنة لمراقبة سلوك الطلاب خارج المعهد ولجنة للفت انظار الزائرين إلى البعد عن البدع والتمسح بالضريح ، ونظم مكتبة الجامع الأحمدى وحشد فيها عيون الكتب وكان صديقا (للسلطان حسين) فلما تولى الحكم عينه عضوا بالمجلس الأعلى للأزهر .

ـ ثم شكلت لجان للنظر فى أمر الخلافة الاسلامية ودعى إلى مؤتمر بالقاهرة وارتابت الدول الاسلامية وظنت أن مصر تريد أن تكون لها الخلافة وعقد المؤتمر سنة ١٩٢٦ ولكنه انفض دون أن يؤدى لشىء .

ـ وفى سنة ١٩٢٥ م تجددت الدعوة للنهوض بالأزهر وكان له دور بارز .

ـ وفى سنة ١٩٢٦ رأس وفد مصر لزيارة السعودية وحضور المؤتمر الاسلامى الذى دعا إليه الملك عبد العزيز واستطاع الشيخ الظواهرى فى هذا المؤتمر أن يوفق بين أعضاء الوفود فيما يتعلق بحرية المذاهب وفى هذا المؤتمر انتزع الشيخ الظواهرى قرارا أعلن فيه (وحدة مصر والسودان) ولما علم عبد الخالق ثروت بذلك قال (لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء فى السياسة) .

وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٩ م وسار على منهجه الذى أوضحه فى كتابه (العلم والعلماء) وكان متأثرا بفلسفة الشيخ محمد عبده والامام المراغى فى السير نحو الاصلاح الدينى وخطا خطوة عظيمة فى اصدار القانون سنة ١٩٣٠ م وبمقتضاه .

ـ انشا كلية الشريعة لتخريج علماء يتولون الافتاء والقضاء الشرعى .

ـ انشاء كلية لأصول الدين لتخريج مدرسى الدين فى الأزهر والمعاهد الدينية وكلية اللغة العربية لتخريج مدرسين للغة العربية .

ـ كما اهتم بالدراسات العليا فأنشأ (تخصص الدعوة والارشاد) (تخصص المادة للتدريس) .

ـ وأصدر (مجلة الأزهر) التى كانت تعرف قديما (بنور الاسلام) لتعبر عن الأزهر وتنشر الثقافة الدينية (وهى الآن تصدر بالعربية والانجليزية) .

ـ وكان رحمه الله متواضعا . . لما ناداه العلماء (بالامام الأكبر) قال (ما أنا إلا واحد من المشايخ) وقرأ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

من مؤلفاته :

١ ـ العلم والعلماء (سبقت الاشارة إليه) .
٢ ـ رسالة الأخلاق الكبرى .
٣ ـ خواص المعقولات فى أول المنطق وسائر
٥ ـ الوصايا والآداب .
٦ ـ صفوة الأساليب .
٧ ـ حكم الحكماء .
٨ ـ براءة الاسلام من أوهام العوام .
٩ ـ مقادير الأخلاق .

MLF IV 30